مقدمة

لقد وصل تطور البشرية إلى مرحلة من التقارب والتداخل ، ومازال مستمراً في هذا التقارب ؛ بحيث لايستطيع أحد الإنعزال عن الآخرين ، أو أن ينفرد بصناعاته ، أو إنتاجه ... إلخ ، وبحيث لا يمكن الانفراد بالخلافات ، أو الصراعات بعيداً ، أو تجنب الاصطدام الفكري والحضاري .

والصواب ومصلحة وأمن البشر أن يظل التنافس في إطار مقنن ، وأن يظل الخلاف خلافاً فكرياً ، وهذا الأمر لا جدال حوله لوضوحه . ولكن كيف نحصر هذه الخلافات والصراعات ونجعلها في الحوار والفكر فقط أو في إطار مقنن ؟ .

هذه هي المشكلة التي تواجهها البشرية خلال هذه المرحلة .

وفي هذا البحث لن نتناول عموم خلافات البشر وصراعاتهم ، فهذه مرحلة تأتي لاحقاً، بل نتناول خلافاتنا كمسلمين خاصة ما بين السُّنَّة والشيعة .

وهذه الخلافات موجودة منذ أمد بعيد ، وقد تراكمت عبر التاريخ ، وأصبحت إثارتها الآن أمر حتمي يفرضه الواقع الإسلامي والعالمي ، على عكس ما يدعي ويردد الكثيرون ؛ فالأمر يتعلق بالعقيدة والشريعة الإسلامية ، لا مجرد خلافات مذهبية ، كما يعتقد البعض .

نعم قد تختلف آراؤنا ومفاهيمنا وتفسيراتنا في أمور الفقه ، وغيرها مما ليست من الثوابت الإسلامية ، وهذا هو الواقع ، وقد نسعى للتقريب بين وجهات النظر والأفكار المختلفة ، أما الخروج عن ثوابت العقيدة والشريعة الإسلامية التي أكد عليها ديننا وصرح بها قرآننا في آياته المحكمات ، وبينها الرسول ﷺ ، فلا مجال للعبث بها أو التهاون فيها .

وتعد الخلافات المذهبية هي نقطة الانطلاق حول التقريب الذي أصبح موضوع المسلمين على امتداد العالم الإسلامي ، ونحن لن نردد ما يقوله الآخرون إيجاباً ، أو رفضا ، بل سنقف لنبحث هذه المسألة باختصار حتى لا نخرج عن موضع البحث ، حيث يعتقد كثيرون أنها مفتاح الحلول لكافة المشاكل .

بداية من المسلّمات بين علماء الإسلام أن الاختلاف واقع في هذه الأمة في فروعها ، بل يمتد الخلاف إلى أصولها ، وبنظرة متأنية لطبيعة ديننا الحنيف ، وخصوصيته ؛ حيث هو لكافة البشر في كافة بقاع الأرض إلى يوم القيامة ؛ فهو كلمة الله الأخيرة إلى الأرض ، ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، وهو تشريع الخالق سبحانه وتعالى الذي وسع كل شيء علماً . وما نسميه اختلافاً أو خلافاً هو في صلب الدين الإسلامي ؛ ليناسب كافة البشر والمجتمعات في مختلف العصور . إذ لو كان الإسلام الحنيف محكوم برؤية بشرية ثابتة مهما كان رقيها ؛ لفقد الإسلام قدرته على الاستمرار عبر المجتمعات وعبر الزمن ، ولفقد خاصيته العالمية التي وضعها الخالق سبحانه وتعالى فيه ، فما يعتقده البعض خلافا ، أو اختلافا هو من جوهر الدين ، ولا سبيل لرفعه ، ولا حاجة للتقريب بين المختلفين فيه ، بل يجب أن يعي المسلمون ذلك ، خاصة وقد دخلت البشرية مرحلة التطبيق العملي للعولمة .

والبشرية خلال رحلتها الطويلة لم تعرف عقيدة ، ولا تشريعا يحمل خاصية العالمية غير دين الإسلام ، ولاشك أنه الملاذ الذي ستلوذ به البشرية ، وستلجأ إليه في نهاية المطاف مهما طال عنادها .

وكما بين العلماء فإن هذا الاختلاف يجاري طبيعة البشر ؛ فالبشر مختلفون ، والبيئات مختلفة ، والأزمنة مختلفة ، واللغة العربية تحمل في داخلها القدرة على تحمل كل ذلك ، وقد وعى العلماء ذلك ، وعاشوا معه ، بل كان الواحد منهم يختلف في نظرته عند اختلاف المكان والزمان . ولا أدل على ذلك من

الإمام الشافعي عندما رحل إلى مصر .

ولننظر لفقه مشاهير الإسلام أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وابن حنبل ، والليث بن سعد ، وغيرهم فلم يُحدث اختلافهم شرخاً في الإسلام ، بل كانوا يتعايشون مع اختلافاتهم ، ويعرفون أدب الخلاف ؛ لذلك فدعوى التقريب هنا ساقطة ، فالواجب أن يتعلم المسلمون آداب الخلاف فقط وحقيقته ، حتى لايقف عائقاً أمام تحقيق الاجتماع الإسلامي .

وحتى في قمة أمور الخلاف بين المسلمين ، والتي نتج عنها فتنة مثل قضية خلق القرآن ، ورؤية الله سبحانه وتعالى، فقد بين العلماء بعد ذلك أنها خلافات حول مسائل كلامية ، ومما يتحملها الإسلام .

قال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ** ﴾ .

[آل عمران : ٧] .

فالقرآن الكريم فيه :

[١] **المحكم** : وهو العبارة التي أُحْكِمَ بنيانها ، فأصبحت دلالتها على المعنى المراد دلالته واضحة دون لبس أو غموض . قال تعالى : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ① ﴾ [الإخلاص:١] .

[٢] **والمبهم** : وهو العبارة التي تستطيع أن تدرك معناها اللغوي القريب ، ولكن عند تفسيرها عن طريق اللغة تجد نفسك قد وقفت لأن هناك معنى قد غطى العبارة . قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ** ﴾ [النمل : ٨٢] . فكلمة "دابة" معناها واضح فالدابة أي شيء يدب على الأرض ، ولكن أي دابة هذه ، أو أي حيوان ؟ ، أم ماذا ؟ .

[٤] **والمتشابه** : أي اللفظ الذي نقرأه في القرآن ، وعندما نتأمل معنى ، أو

تفسير العبارة نجدها تحمل أكثر من تفسير ، أي الألفاظ التي يتجاذبها أكثر من معنى واحد على مستوى واحد من القوة .

قال تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه : ٥] .

✿ "العرش" لاتدخل في المتشابه فهي تعني وجود عرش كبير لايعلم مدى عظمه إلا الله سبحانه وتعالى ، ولكن ما معنى "استوى" ؟

✿ ومثل كلمة "يدي" في قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] .

ومعظم كلام الله سبحانه وتعالى الذي يخاطبنا به هو من النوع المحكم نحو :

" العقائد ، وأحكام العبادات ، وأحكام التشريعات ، والألفاظ التي تتضمن قيم ومباديء إسلامية ... " .

لذلك كان المحكم هو أم الكتاب ، وأوصانا الله سبحانه وتعالى بعدم تتبع ما تشابه من آي القرآن الكريم .

وقد اتفق علماء الإسلام أن الشريعة ذات المصدر الإلهي اشتملت على أحكام ثابتة لاتتغير ، وأحكام قابلة للتغيير والتطور ، تحقيقًا لمبدأ مرونة الشريعة ، وإعمالا لعقول علماء الأمة ، وانسجاما مع تغيير الأعراف والمصالح ، ووفاء بحاجات الناس لتصبح الشريعة صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان .

والمتغيرات لها قواعد تربطها حتى لاينفلت الأمر ، والاجتهاد يكون فيما لم يرد فيه نص ، ويكون من النص الشرعي ذاته ، ويخضع لقانون الدلالة في اللغة العربية وفقه اللغة ، وللقواعد التي تسمى بأصول الدلالات ، أو قواعد تفسير النصوص والمقارنة بينها ، ويتفاوت الجهد المبذول في فهم النص على ضوء هذه القوانين والقواعد ، ما بين يسر وعسر .

فحديث التقريب الذي يتناوله الجميع الآن لا مجال له ، وإنما يكون الحديث

حول نشر الوعي بين المسلمين لفهم وتقبل الاختلاف الذي يسمح به الإسلام ذاته ، ومثل هذه الاختلافات أمر واقع ، وهي لا تشكل خطراً على التجمع الإسلامي ، ولا تقف عائقًا نحو التطبيق العملي لعالمية الإسلام .

وإذا دققنا النظر من خلال ذلك إلى دعوى التقريب بين السُّنَّة والشيعة ، وإلى الخلاف بينهما ، وكيف وصل الخلاف إلى هذا الحد ؟ وكيف استمر طيلة هذه القرون ؟ .

أدركنا أن هذا الخلاف ليس خلافاً مذهبياً ، أو مما يسمح به الإسلام نفسه . فهو خلاف حول الثوابت الإسلامية ، وفي النسيج الرباني في المحكم من آياته سبحانه وتعالى ، وهو تبديل تحريف لدين الله الذي جاء به محمد ﷺ ؛ لذلك فالواجب هنا هو السعي للوصول للحقائق ؛ لنتخلى عن البدع التي ألصقت بالدين وهي ليست منه .

ويجب أن ندرك جميعا أن محاولة البعض تجنب الاصطدام الفكري ؛ لتنقية الإسلام مما علق به وليس منه ، وفتح الحوار للوصول للحقائق حول ثوابت الإسلام خلال هذا العصر ـ الذي أصبح كل شيء فيه يأخذ صفة العالمية ـ فإن ذلك سيؤدي حتما إلى الصراع ،والاقتتال ، والإضرار بالمسلمين ضرراً بالغاً يصعب السيطرة عليه؛ لذلك لابد من إثارة هذه الخلافات وإظهار الحقائق ونشرها؛ للارتقاء بمستوى عوام المسلمين وخواصهم في المعرفة الدينية ، وبما يجب على كل مسلم معرفته من أمر هذا الدين بما يناسب طبيعة هذه المرحلة من عمر البشرية .

والمؤكد أن الحوار الفكري والعلمي ، ونشر العلم بين كافة المسلمين بحقائق وثوابت الإسلام سيقودنا حتماً إلى إدراك هذه الحقائق والثوابت ، ويسقط الخلاف تدريجياً ، وسيمثل هذا خطوة أولى نحو تجديد دين الأمة الإسلامية، حتى تستطيع القيام بدورها في قيادة البشرية في عصر العولمة (العالمية) .

وأما غير ذلك من أساليب المداراة ، ووضع الرؤوس في الرمال ، فعلاوة على أنه جهل كبير بطبيعة العصر الذي تعيشه البشرية ، وأنه إغفال لحقيقة عالمية الدين الإسلامي ؛ فإن ذلك سيجر على المسلمين من البلاء ، والصراع الكثير .

فلا خوف من إظهار الحقيقة ، وترك ما علق بالدين من خرافات وأضاليل وباطل ، ويجب أن يحرص كافة المسلمين على ذلك .

وبيان حال أئمة البدع المخالفة للكتاب والسُّنَّة واجب باتفاق المسلمين؛ "حتى أنه قيل لأحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ : الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك ، أو يتكلم في أهل البدع ؟.

فقال : إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه ، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين ، هذا أفضل.

فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله ، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ، ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب باتفاق المسلمين .

ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين ، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب ، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً ، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء" (١) .

وهذا الأمر في هذا العصر قد صار واجباً شرعياً على كل من ينتسب للإسلام، وهذه ليست فتوى شرعية بل هي رؤية شخصية يفرضها الواقع المعاصر الذي يعيشه المسلمون، وتعيشه البشرية .

وأدعوا من خلال هذا البحث إلى سرعة تبني الدول العربية والإسلامية الدين الإسلامي كأساس تعتمد عليه في كل مظاهر حياتها ، فلقد أصبح ذلك من الضرورة لحياتنا خلال هذه المرحلة .

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل . ٥ / ١١٠ . ابن تيمية .

و بداية أعترف أنني دخلت هذا البحث ، وفي ضميري أن أساهم في مسألة التقريب بين السُّنَّة والشيعة، والتي شاعت في وسائل الإعلام ، وتناولها علماء ، وشيوخ أهل السُّنَّة والجماعة وغيرهم من المثقفين الإسلاميين ، ولكنني وجدت بعد فترة من البحث أن الأمر ليس بهذه الصورة ، والتي يمكن أن يحدث فيها التقريب، فالمسألة أكبر من ذلك بكثير، ويجب أن ترتبط أولاً بالدين الإسلامي ، ومصادره الصحيحة ، وتصحيح العقيدة .

وهذه ثوابت الإسلام ، ولا مجاملة فيها ؛ فالإسلام هو ما جاء به الرسول ﷺ من قرآن وسُنَّة ، ونُقل إلينا عن طريق الصحابة نقلاً صحيحاً .

ولكن مؤسسة التشيع يقوم بنيانها على "الوصية بالإمامة ، وسب الصحابة وردتهم ، والطعن في أهل البيت " ، وتقوم على عقائد ما أنزل الله بها من سلطان "كالعصمة ، ولدونية علم الأئمة ، والرجعة ، والبداء ، والتقية .... ، وتشريعات وفتاوى ليست من الإسلام ، بل وتسيء إليه كالخمس، والمتعة ..." ، وتستند كذلك لمجموعة من المصادر والمراجع لا تصلح أن تكون كُتباً علمية . فكيف تكون من مصادر الدين ؟! .

ولا مجال لإغفال ذلك ، أو التماس العذر فيه ، ولا مجال لإغماض الأعين ، أو إغلاق العقول ؛ فالمسألة تتعلق بثوابت وجوهر الدين الإسلامي ؛ لذا يجب أن تنصب الموازين ، وتفتح العقول لقياس الحقائق عند المسلمين ، ومدى ارتباطها بالدين، أو بعدها عنه . فالأمر لا يتعلق بالتكفير أو عدم التكفير، ولكن يتعلق بـ من هو المسلم ؟ ، وما الإسلام ؟.

ومع الاستزادة من مطالعة كتب التشيع والاستماع إلى كبار علمائهم ، ومشاهدة وقراءة مناظرات عديدة ، والإطلاع والاستماع لعلماء أثبات ؛ بدأت أشك في حقيقة التشيع : وهل هو من الإسلام ؟ ، أم هو بدعة في الدين الإسلامي ؟ .

وهل مؤسسي التشيع هم من المسلمين الذين حملوا عبء الدعوة الإسلامية أم ماذا ؟ وما هي حقيقتهم ؟ .

بل أكثر من ذلك هل التشيع بهذا الشكل ، وبهذا الفكر موجود في تاريخ الإسلام أم لا ؟ ، و.... إلخ .

والعامة ، والخاصة من المسلمين يرددون دائما أن : من قال : "لا إله إلا الله محمد رسول الله" فهو مسلم ولا نكفره .

والأمر ليس كذلك، والمسلمون ليسوا بهذه السذاجة ، وإلا كانت هذه الشهادة مدخلاً سهلاً ورخصة لمن يريد الإفساد في الدين ، وتضليل المسلمين ، وهدم بنيان الإسلام .

فإذا قال أحدٌ : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » نفاقًا بحيث أظهر الإسلام ، وأبطن الكفر ، ولم يجاهر به فهذا حسابه على الله ، ولا علم لأحد بالقلوب إلا خالقها سبحانه وتعالى .

أما إذا قال أحد : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ثم صرح بالكفر سلوكاً أو قولاً ، وجاهر به فلا يمكن أن يُترك يفسد في الدين ويضلل المسلمين ، ونقول : حسابه على الله ، فلقد نطق الشهادة ! .

وأما إذا جاء من أحد المسلمين ، أو بعضهم سلوكاً ، أو قولاً ليس من الإسلام مع جهلهم فعلى علماء الأمة وأولياء الأمر تصحيح ذلك ، وهذا هو الحادث على مر التاريخ ، وعلماء الأمة يتصدون لكل انحراف ، أو شذوذ ، أو خطأ في الدين ليصححوه .

من حديث مسلم الذي يرويه في مطلع صحيحه من حديث يحي بن يعمر :

" كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني ، فانطلقت أنا وحميد ابن عبد الرحمن الحميري حاجين ، أو معتمرين فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب

رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر . فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه داخلاً المسجد . فاكتنفته أنا وصاحبي . أحدنا عن يمينه ، والآخر عن شماله . فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ . فقلت : أبا عبد الرحمن ! إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم . وذكر من شأنهم (يقصد من حسن عبادتهم وورعهم) ، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف . قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم ، وأنهم براء مني .

والذي يحلف به عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ،ثم قال :حدثني أبي عمر بن الخطاب ، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم،إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب. شديد سواد الشعر . لا يرى عليه أثر السفر . ولا يعرفه منا أحد . حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه . وقال : « **يا محمد ! أخبرني عن الإسلام** ..... » إلى آخر الحديث" (١) .

لذلك يجب أن يتحول مفهوم تقريب المذاهب عند كافة المسلمين على اختلاف مشاربهم إلى تصحيح دين الأمة أولا ، ونبذ كل ما علق بالدين وليس منه قديما كان أو حديثًا ، وهذا هو التقريب ؛ أي تقريب المسلمين إلى دين الله الذي جاء به محمد ﷺ للبشرية جمعاء إلى قيام الساعة ، فيجب أن يكون التقريب إلى الدين الصحيح .

وقد رُوي عن رسول الله ﷺ قوله : "**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الجاهلين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الغاليين**" (٢) .

أما دعاوى التقريب في هذا المجال ، والتي يرددها الكثيرون من العلماء ، والمثقفين الإسلاميين دون إدراك لحقيقة الأمر هي من الأمور التي تزيد الموقف

---

(١) الراوي : عمر بن الخطاب – خلاصة الدرجة : صحيح ـ المحدث: مسلم ـ المصدر: المسند الصحيح ٨ .

(٢) الراوي : إبراهيم بن عبد الرحمن العذري ـ خلاصة الدرجة : صحيح ـ المحدث: الإمام أحمد ـ المصدر: تاريخ دمشق ٧ / ٣٩ .

صعوبة ، فالتوحيد لابد أن يسبق الوحدة، وهذا التقريب لايكون على حساب الثوابت الإسلامية فالأمر ليس مجرد خلاف حول نصوص وأراء فقهية اجتهادية، أو تراث سني وشيعي يقبل الاختلاف فيه ، بل الأمر يتعلق بجوهر الدين الإسلامي وثوابته ، وهو الخطر الأكبر الذي يفوق كل خطر تتعرض له الأمة الإسلامية .

والحقيقة التي سنُظهرها أن بدعة التشيع وضع بذرتها وغذاها أعداء الإسلام ، وبعض المنتفعين ، ومن يجهلون الدين الإسلامي . وهي تفرغ الدين من محتواه ، وتنحرف به بعقائد شاذة وفاسدة ، وتشريعات ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا علاقة لهم بأهل البيت ﷺ ، وهؤلاء ـ مدعي التشيع ـ لا يتبعون أهل البيت في شيء ، وهذا ما يجب أن يعرفه كافة المسلمين خاصة عوام الشيعة ، ولا مجال للتقريب الذي يتحدثون عنه الآن مع هؤلاء أو أتباعهم ؛ فهذا التقريب ينطلق من منطلق سياسي مصلحي نفعي ، وليس من منطلق عقائدي ، ويجب أن تكون الدعوة هنا لتصحيح وتجديد دين الأمة الإسلامية .

فالمسألة يجب ألا تأخذ شكل الحوار للتفاهم حول نقاط خلاف ، أو ما شابه . إننا نتحدث عن عقيدتنا وشريعتنا الإسلامية التي هي نسيج رباني ، جاء به محمد ﷺ رحمة للعالمين ، ولا مجال غير قبول الصحيح في ديننا ، وهذا هو مجال وهدف أي حوار ، وليقم كل بدوره في ذلك الحوار ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حي عن بينة .

وهذا البحث اجتهاد مني في هذا الحوار ؛ فما كان صواباً فمن الله ، وما كان خطأ فمني ومن الشيطان .

والبحث يبدأ بتمهيد يوضح السبب الذي دفعني للقيام بهذه الدراسة في هذا الوقت .

ثم أستعرض جوانب من الفتنة الكبرى في تاريخ الإسلام تفيدنا في إثبات أن التشيع بصورته التي استقر عليها غير موجود في تاريخ المسلمين الأوائل ، ثم بداية ظهور بدعة التشيع ، وكيف خدع أصحاب هذه البدعة المسلمين بادعائهم الكاذب بالوصية بالإمامة ، مع استعراض أبرز حججهم وإبطالها ، حتى لا يستمر خداعهم للمسلمين خاصة عوام الشيعة ، ولعل هؤلاء الذين غلبهم تعصبهم للعقائد التي ورثوها عن آبائهم ، وهي أبعد شيء عن الدين الإسلامي أن تتيقظ عقولهم وقلوبهم للحقيقة ، فيلفظوا كل باطل عن دين الله وسُنَّة رسوله ﷺ .

ويتابع البحث كشف كذبهم على أهل البيت ، وإظهار حقدهم على خير أمة أخرجت للناس ، وعلى كلام رب العزة ـ القرآن الكريم ـ ، وكشف وسائلهم في التزوير ، وقد جعلوا الكذب والنفاق من ضروريات الدين وأسموه "التقية" ، وإظهار انتحالهم على أهل البيت رضي الله عنهم ما لم يدعوه من "العلم ، أو العصمة ، أو الرجعة ، وغير ذلك" ، وادعائهم الباطل أنهم يمثلون مذهب أهل البيت رضي الله عنهم ، وأهل البيت منهم براء ، وهم في الحقيقة يبتدعون في شريعة الله سبحانه وتعالى، ثم ينسبون كل أباطيلهم وبدعهم إلى أهل البيت رضي الله عنهم .

وينتهي البحث بنتيجة مؤكدة أن التشيع بالصورة التي استقر عليها ليس من الإسلام ، ولا وجود له في دين الله ، وأن أصحاب هذه البدعة لاعلاقة لهم بدين محمد ﷺ .

وكتبه

فايز عزيز محمد إسماعيل

عفا الله عنه

obeikandi.com

obeikandl.com

تمهيد

لماذا هذا الموضـــوع الآن ؟

بعد اجتياح الولايات المتحدة الأمريكية بالتعاون مع بعض القوى الغربية دولة العراق ، وبعد إعلان النظام الأمريكي الرسمي العداء للإسلام بأسلوب سافر قد تخلى عن الدعاوى والمبررات التي كان يتدثر بها هو وأعوانه كمبرر عند مهاجمة الإسلام في أي بقعة من الأرض ؛ ظهرت الفتنة الإسلامية من جديد بين السُّنَّة والشيعة بقوة على مسرح الأحداث في أرض العراق ، وكأن هذه الأرض على موعد مستمر على مدار التاريخ لإثارة هذه الفتنة التي ما تفتأ أن تعصف بالمسلمين منذ ظهورها من مكمنها الحقيقي في هذه الأرض العربية التي كانت مقر الخلافة الإسلامية ، ومحل أنظار كافة البشر ردحاً من الزمن قال رسول الله ﷺ : " **اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا ، وبارك لنا في شامنا ويمننا** . فقال رجل من القوم : يا نبي الله ! وعراقنا ؟، **قال : إن بها قرن الشيطان ، وتهيج الفتن ، وإن الجفاء بالمشرق** " (١) .

ونجد البعض بل الغالبية من العرب ، والمسلمين يصرحون بالقول بأن الغرب الاستعماري والقوي المعادية للإسلام هي التي تشعل هذه الفتنة لتؤجج العداء بين المسلمين ولتفرق المسلمين ؛ ليظلوا في حالة صراع دائم ، وإن هذه القوى لاشك في أنها تسعى للقضاء على الإسلام ، وتقودها مصلحتها في الاستيلاء على ثروات المسلمين ، وإخضاع العرب إلى إعادة إثارة هذا الخلاف ، وإيقاظ

---

(١) الراوي: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما - خلاصة الدرجة : صحيح لغيره - المحدث : الالباني المصدر : صحيح الترغيب ١٢٠٤ .

الصراع التاريخي للفتنة الكبرى في تاريخ الإسلام بين السُّنَّة والشيعة على وجه الخصوص .

ونحن نعتقد ذلك تماماً، بل ولا نشك أنهم يسعون بكل وسيلة وحيلة للقضاء على الإسلام ، وعلى موطنه في الأرض العربية . ولا يجادل في هذا إلا جاهل بحقيقة الصراع الاستعماري على مر العصور .

ولكن ليست هذه كل الحقيقة ؛ لأننا بذلك نغلق أعيننا ، ونصم آذاننا ، بل ونلغي عقولنا تجاه الواقع الذي نعيشه ، وتعيشه البشرية جمعاء ، والصواب أن طبيعة هذا الواقع الجديد هي التي تفرض هذا الصراع بهذه القوة في هذه اللحظة التاريخية ، بل وتجعله صراعاً عالمياً .

ويجب أن ننتبه،فلقد دخلت البشرية في مرحلة جديدة،ومختلفة من عمرها، مرحلة العالمية (العولمة) ، وعلينا أن نعي طبيعة هذه المرحلة ، وخصائصها ، ونعرف قوانينها ، وكيف سيتعايش البشر خلال هذه المرحلة من عمر البشرية .

فالعولمة أو (العالمية) حقيقة وواقع تعيشه البشرية [٢] ، وقد أكدت الأيام حقيقة وواقع دخول البشرية مرحلة مختلفة تماماً عما سبقها .

فالبشرية متجهة بكل طاقتها ، وسرعة تطورها العلمي المذهل بهذا الاتجاه ؛ ليصبح العالم كله مجتمعاً واحداً في مصالحه ومشاكله لا يشذ منه دولة واحدة مهما صغرت ، أو تناءت عن غيرها ، أو حتى تخلفت عن ركب الحضارة وهمشت .

ففكرة العولمة (العالمية) في حقيقتها لم تولد مع مصطلح العولمة في العصر الحديث ، بل وجدت مع الإنسان ومحاولته الدائمة توسيع مجتمعاته ليقيم مجتمعات أكثر تطوراً ، وأكثر اتساعاً واتصالاً ، وقد أخذت فكرة العالمية

---

(١) وأما الحديث عن العولمة من حيث النشأة والآراء حول ماهيتها ، وأهدافها ، واختلاف الآراء وتباينها في ذلك فقد تناولت هذا الموضوع منذ سنوات في كتابي " من سيحكم العالم ؟ " في الفصل الأول .

(العولمة) تتطور ، وتأخذ أبعاداً جديدة مع كل تطور للإنسان على الأرض ، حتى دخلت في عصرنا الحديث أرقى مراحل تطورها ؛ لتأخذ شكلها النهائي حيث تصبح الأمم المختلفة والدول المتباعدة والعقائد المتباينة واللغات المتعددة هي نفسها عناصر لمجتمع واحد شديد التقارب، شديد التداخل ، أشبه بالقرية الصغيرة من حيث التأثير والتأثر، وتشابك المصالح ، وتتداخل المشاكل .

وهذه هي الحقيقة ؛ يجب أن نتعايش معها ونقبل قوانينها ،لا أقصد مجتمعنا العربي ، أو حتى الإسلامي بل أعني البشرية جمعاء على اختلافها وتناقضها .

فالعولمة ليست تطوراً للرأسمالية أو غيرها كما يزعم البعض ، وهي ليست تخطيطاً ، أو خطة استعمارية لسيطرة القوي كما يتهيأ للبعض ، كما أنها ليست قفزة حضارية لدولة ما ، أو حتى لمجموعة من الدول ، فالعالمية في حقيقتها مسيرة البشرية كلها خلال رحلتها الطويلة ، وقد وصلت إليها .

ففي الماضي ، وعلى مدار التاريخ البشري كانت الحضارات البشرية موزعة في أماكن مختلفة ، ومتباعدة ، وترتبط بجماعة مخصوصة من البشر، وكذلك كانت الأديان لجماعات من البشر دون غيرهم، تسقط حضارة في مكان ما لتقوم غيرها في مكان آخر، وهكذا وجدت حضارات عظيمة في أماكن مختلفة تحطمت وذهبت في طي النسيان، وتركت لنا شواهد تدل عليها في مصر، وسوريا،والعراق، والهند ، والصين ، واليمن ، وروما ، واليونان ، و..... إلخ.

وكان انهيار حضارة ما ، أو انهيارها جميعاً لا يشكل أخطاراً على البشرية كلها ، بل ينال ضررها بعضا من أصحاب الحضارة ، أو حتى جميعهم .

أما الآن فحضارتنا الحديثة تختلف في جوهرها وطبيعتها وشكلها عما سبقها من الحضارات البشرية فهي ليست حضارة دولة ما،أو حتى مجموعة من الدول ، وليست خاصة بأرض معينة ، بل هي حضارة الإنسانية كلها، حضارة قد حوت كافة البشر ، واتسعت لتشمل كل الكوكب الأرضي ، وهي تمثل مرحلة متقدمة

ومختلفة في تاريخ البشرية ، وهي لم تستكمل شكلها النهائي بعد ، ولكنها استطاعت أن تجمع البشرية كلها ، والأرض جميعها ـ ولأول مرة في التاريخ ـ في حضارة واحدة من أقصى الشرق ، وحتى أقصى الغرب ، ومن أقصى الشمال ، وحتى أقصى الجنوب مروراً بجميع سكان المعمورة ، وهذه حقيقة دامغة ، ولا يعني تفوق دولة ما ، أو بعض الدول أنها ـ هي فقط ـ تمثل الحضارة الحديثة ، أو تملكها ، أو أن انهيارها هو انهيار لهذه الحضارة ! لا فهذا قصور عن إدراك الحقائق ، أو بالأحرى هو تجاهل لها ! .

لذا يجب على الغرب المتمدن ،أو الشرق المتقدم أن يعي جوهر هذه الحضارة وعالميتها ، وعلى البشر أن يستنبطوا قوانين هذه اللحظة التاريخية قبل أن تعصف أخطارها المدمرة بالجميع .

إن انهيار هذه الحضارة الحديثة يعني في حقيقته انهياراً عالمياً ، ودمارها يعني دماراً عالمياً ، لايستطيع أحد حساب خسائره وأضراره ، وهذه هي قمة العولمة (العالمية) ، وما تحويه من رعب ! .

وهذه الحضارة ـ مثل سائر الحضارات الإنسانية ـ تحمل في داخلها كل عوامل وأسباب انهيارها ، فهي تعجز عن تقديم الرفاهية لكافة البشر أو غالبيتهم ، كما هو الحال في الدول المتقدمة الآن ، وهذه الحضارة تصطدم بالحدود الكونية .

فالدول المتقدمة والتي يشكل سكانها ٢٠٪ من البشر يستهلكون أكثر من ٨٠٪ من المصادر الطبيعية ، وهذا معناه بكل وضوح أن المصادر الطبيعية لا تكفي لأن يتقدم البشر ، ويصلوا إلى المعدلات الاستهلاكية نفسها لدى الدول المتقدمة حالياً .

فعلى سبيل المثال يستهلك الإنسان الأمريكي الواحد ما يستهلكه ألف مواطن هندي .

ومن المؤكد علمياً زيادة نسبة التلوث عن المعدلات الطبيعية ، وخطورتها التدميرية على الجميع إذا استمرت في هذا الازدياد .

ولنا أن نتخيل كيف ستكون معدلات التلوث إذا ما تقدمت دول مثل الصين، والهند ، وأندونسيا ؛ ليكون استهلاكها مثل أمريكا والغرب ، وهي تضم أكثر من ثلث سكان العالم ؟.

❁ والسؤال الأخطر من أين ستوفر مثل هذه الدول وغيرها الموارد الطبيعية اللازمة لهذا التقدم ؟ .

❁ ومن أين ستوفر الطاقة لهذا التقدم ؟ .

❁ وكيف ستصرف الدول إنتاجها الضخم والمتزايد من كل شيء ؟.

ولنا أن نتخيل شكل وحجم الصراع العالمي وبشاعته مع التطور العلمي الهائل والمستمر في وسائل الحرب والتدمير ؟ ، ومن سيكون الضحية ؟! .

فهذه الحضارة ترتطم بالحدود الكونية التي لا يمكن تجاوزها ، وحلم التقدم بالمعدلات الاستهلاكية الغربية ، وكذلك المعدلات الانتاجية والتسويقية هو حلم مستحيل أن يتحقق ، وسعي الآخرين للوصول له هو الكابوس الحقيقي الذي تحمله الحضارة الحديثة ، وربما هو آفة هذه الحضارة التي ستقود لتدميرها حتماً ؛ حيث تحكم المجتمعات قوانين ، وشرائع مختلفة ومتباينة لا تناسب طبيعة هذه المرحلة ؛ فهي لا تحمل صفة أو خاصية العالمية .

وتلك التشريعات والقوانين عنصرية ، ولصالح مجموعة ، أو مجموعات من البشر دون غيرهم ، ولابد من تصادمها وتعارضها ، وهذه مفارقة لا يمكن تحقيقها مهما أصرت عليها الدول القوية بما تملكه من وسائل القوة والتقدم .

وهنا مكمن الخطورة لهذه الحضارة الحديثة ، حيث تستوجب عالمية الحضارة أن يلازمها عالمية التشريع،وهذا أمر لا مفر منه ،وهو ما تحاول الدول الكبرى

الهروب منه؛ حيث تمارس الهيمنة والسيطرة ،وتستخدم الإرهاب والقوة لإخضاع الآخرين ، وهذا وهم يستحيل أن تحققه .

وحيث لا يوجد تشريع عالمي يملكه البشر منذ أن وجدوا على الأرض ، أو يستطيعوا الوصول إليه مستقبلاً غير التشريع الإسلامي، وهذه حقيقة لا مفر منها أو التغافل عنها،ولن نطيل هنا فهذا ليس موضوعنا، وهذا الموضوع له بحث آخر.

ومن المعلوم للجميع أن البشرية تندفع بسرعة هائلة تجاه العولمة تناسب سرعة تطورها العلمي والتكنولوجي المضطرد،فالمواصلات أصبحت عالمية، والاتصالات، والإعلام ، والإعلان، والمسابقات، والأمراض ، والتجارة ، والصناعة ، والتنافس ، والصراع ، والحرب ، والعلم ، والمعرفة ، والثقافة ، والاقتصاد ، والفنون ، والعلاقات الاجتماعية ، والإنسانية ، وحتى الأزياء ، ومقاييس الذوق والجمال ، وحتى الأحلام ، ووجبات الغذاء كلها أصبحت عالمية ، وكل شيء في طريقه لأن يأخذ طابع وصفة وشكل العالمية .

وهو غير قابل للتوقف ، أو حتى للتهدئة حيث هو مجال المنافسة ! .

والحضارة الحديثة حضارة إنسانية عالمية لا شرقية ، ولا غربية ، ولأول مرة في التاريخ البشري يتحقق هذا الاجتماع العالمي الشديد التقارب والتداخل؛لذا كانت أولى خصائص العولمة والملازمة لها هي : التأثير والتأثر، والمنافسة والصراع.

ويزداد حجم الصراع ويمتد ليشمل كل مجالات التنافس سواء كان اقتصادياً ، أو علمياً ، أو عسكرياً ، أو فكرياً أو ..... فالتنافس والصراع ، والتأثير والتأثر أصبحت من الخصائص الملازمة للعولمة، وهي في اتساع مستمر في كل المجالات ، وعلى كافة الأصعدة ، وهذا نتيجة طبيعية لغياب عالمية التشريع ، والذي ينبغي أن يحكم هذه العالمية "العولمة" (١) ، ولابد من اللجوء إليه عاجلاً أم آجلاً ، ولن

(١) لاحظ تأخذ قوانين المسابقات الرياضية وما شابهها من المنافسات صفة العولمة وتخضع هذه المنافسات لقوانين عالمية تتوافق مع عالميتها وتحقق المساواة أثناء التنافس ؛ لذا فهي تعبر عن العالمية بشكل حضاري رائع يسمح باستمرارها وتطورها

نطيل فهذا ليس موضوع بحثنا ، ولكنه ضرورة نهدف من ورائها لكشف الأسباب الحقيقية لتجدد الصراع الذي اشتعل بين السُّنَّة والشيعة ،بل الصواب أن نقول : بين الإسلام والتشيع ، والذي هو في صلب موضوع البحث .

وهذا الصراع هو بمثابة المقدمة الطبيعية والحتمية لصراع الإسلام المرير خلال هذه المرحلة للوصول لقيادة البشرية، وإنقاذها مما هي مقبلة عليه من شرور، وأخطار ليتحقق قوله تعالى :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

وكما هو واضح للجميع ، فحقيقة عصر العولمة هو التقريب أو التقارب الشديد بين البشر ، ويلزم هذه الحقيقة نشوء تنافس وصراع على كافة الأصعدة ، وما يعنينا هنا هو الصراع الفكري لأنه منشأ الخلاف ، وهو أيضا مفتاح الحلول .

وبما أننا نتناول هنا ـ كخطوة أولى ـ الصراع السني الشيعي فيجب أن نعي تماماً أنه أصبح من المستحيل لأحد الآن الانعزال بالفكر المختلف، فما بالنا عندما نفكر ونتحدث جميعاً كمسلمين لاشك أن هذا الشذوذ والخلط الشديد في العقائد والأسس والأصول الموجود في التشيع لا يمكن أن يندمج أو يلتحم بالعقائد والأسس والأصول الإسلامية .

والأمر أصبح مستحيلاً على القبول أو التعايش مع هذه الخلافات خلال هذه المرحلة ، ولا نقصد أن يتحول الأمر إلى صراع دموي يقوده التعصب أو الهوى ، بل يجب أن يتضح الأمر تماما لدى الجميع ، كي يظل خلافاً فكرياً نصل منه إلى الحقائق ؛ وذلك حتى يتوقف الصراع الدموي .

فلاشك أن الجدال سيحتدم خلال هذه المرحلة ليتخلص الإسلام من كل ما علق به من فكر بشري دخيل عليه ، ويتبقى الإسلام ذلك النسيج الرباني الذي جاء به محمد ﷺ .

وهذه الحقيقة يجب أن يواجهها كافة المسلمين بكافة طوائفهم ؛ حيث لامفر منها ، كما لن تصلح المداهنة الآن .

وعلى العلماء والحكومات ألا تدفن رؤوسها في الرمال أمام هذه المتناقضات ، بل تسعى بكل طاقاتها لتجديد دين الأمة الإسلامية لإظهار الحقائق وإسقاط الباطل والخرافات ؛ لاتباع الإسلام في مصادره الصحيحة نقلاً وعقلاً دونما تعصب أو تشنج ، فلن يصلح هذه الأمة بل والبشرية جمعاء إلا الإسلام كما جاء به الرسول ﷺ . والبشرية في أمس الحاجة إلى الإسلام خلال هذه المرحلة .

وهذا ليس بالأمر اليسير بل من الصعوبة بمكان ، حيث أننا نجد أن العقيدة تسيطر على العقل وتطوعه عند غالبية البشر ، وتتحكم فيه لدوافع ولأسباب كثيرة منها : الجهل ، والمصالح ، والعاطفة ، والحقد ، والكره ، ومنها كونه موروث عن الآباء ، وغير ذلك .....

ونحن كمسلمين يجب أن نتبع جميعاً الإسلام الصحيح عقيدةً وشرعاً ؛ نزل من عند الخالق سبحانه وتعالى على رسوله الخاتم ﷺ ليبلغه للعالمين إلى قيام الساعة ، وقد تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه ، ولامجال للتشكيك في هذه الحقيقة . قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩] .

والذكر قرآن وسُنَّة قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل : ٤٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر : ٧] .

ولاستجلاء الحقائق أكثر نضيف هنا أن هذا الخلاف وهذه الفتنة ـ بدعة التشيع ـ في تاريخ الإسلام قد وقعت منذ قرون طويلة ، وأخذت تتراكم على مر السنوات ولم تمت قط ، بل يكمن أصحابها وتابعيهم في فترات قوة الأمة الإسلامية وسيطرتها ، ثم تعاود الظهور عندما يظهر الخلل ويعم الضعف في صفوف المسلمين، وهذا ثابت تاريخياً مع الدولة البويهية، والقرامطة، والإسماعيلية ، والصفوية ، والآن مع الجمهورية الإيرانية .

فالصراع مستمر، ولم يخمد طيلة هذه القرون الطويلة ، ولكن اختلفت طبيعته خلال هذا العصر؛ حيث أنه اكتسب صفة العالمية،ولا يستطيع أحد أن ينزعها عنه مطلقا ، فالبشرية تزداد قرباً كل يوم، وتتسع حلقات الصراع يومًا بعد يوم ، ويجب التعامل مع الواقع ، ونحن مطالبون بالتعايش مع هذه الحقيقة والتعامل معها من منظور الإسلام كما نزل على الرسول ﷺ للناس كافة .

وقد دخل الإسلام مرحلة التطبيق العملي ليمارس دوره العالمي بما تعنيه الكلمة .

ولتكن الحقائق واضحة ، فالإسلام نسيج رباني لا يختلط به الفكر البشري مهما بلغ هذا الفكر البشري من القوة والاستمرارية؛ حيث يظل التشريع الإسلامي له خصائص فريدة ، فهو تشريع الخالق سبحانه وتعالى ـ الذي وسع كل شيء علماً ، والذي لا يحده زمان ولا مكان ـ لخلقه إلى يوم القيامة .

فالإسلام يتسع مكاناً فيشمل كل الأرض ويمتد زماناً إلى أن يشاء الله عز وجلّ ـ ولا يرقى الفكر البشري إلى هذا المستوى ؛ حيث الفكر البشري مقيد بحدود المعرفة والزمان والمكان الذي نشأ فيه .

والحقيقة التاريخية الثابتة أن هذه الفتنة نشأت بين المسلمين ثم تأججت نيرانها ، وحاول مثيروها النيل من الإسلام والمسلمين ، وأخذ الخلاف يتراكم حتى وصل للحالة التي هو عليها الآن ، ولن ينه هذا الخلاف غير الإسلام وغير المسلمين ، فالإسلام واحد وليس طوائف وشيع . قال تعالى : ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾** ﴾ .

[الأنفال ٤٦] .

وقال تعالى ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾** ﴾ [آل عمران : ١٠٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٥٩) ﴾ [الأنعام : ١٥٩] .

ولا يعني قبول الإسلام وتحمله وجود بعض الخلافات أنه يتعدد كما يحاول البعض دفع المسلمين ـ سواء عن قصد أو عن جهل ـ إلى هذا الاعتقاد بدعوى التقريب بين المذاهب تارة ، ومراعاة مصالح المسلمين ووحدتهم تارة أخرى ، أو للانتباه للأعداء تارة ثالثة ... إلخ .

فالإسلام قريب من مخالفيه ، فكيف لا يكون القرب بين بعض المسلمين ؟! .

وإذا كان المقصود الخلافات المذهبية ـ والأمر غير ذلك ـ فهناك اختلافات واقعة بين المسلمين ، ويقبلها الإسلام ، وهي من رحمة الدين ، ولا يمكن رفعها ، بل لا يجب رفعها أصلا ؛ لأنها من خصائص الشريعة الإسلامية العالمية التي تصلح لكل زمان ومكان .

أما إذا كانت الخلافات في الأصول والعقائد والثوابت الدينية وإحداث البدع في الدين،والتي يستحيل معها تحقيق اجتماع المسلمين مع هذه الاختلافات فالأمر يبدو مختلفا ، وتصبح هذه الاختلافات بمثابة دين جديد .

فالثوابت الإسلامية لا يمكن الاختلاف حولها؛حيث تشكل جوهر الإسلام وأصوله، وهي من الخالق سبحنه وتعالى ولا دخل للبشر فيها مطلقاً، وقد نص القرآن صراحة على أن ما ينطق به الرسول هو وحي وتشريع من الخالق سبحانه وتعالى.

لذا يجب ألا تتحول مقولة أو فكرة التقريب ، أو التوفيق وتكون هي الهدف والغاية الكبرى ، وأنه في سبيل تحقيقها نقوم بتغير الحقائق أو الثوابت الإسلامية أو المداهنة، أو التغافل عنها فهذا لا يجوز مطلقاً ولايقول به مسلم ؛ لأن الهدف الأساسي والغاية الكبرى التي لا نحيد عنها هي دين الله ـ الإسلام ـ كما جاء به محمد ﷺ ، وكما نقله أصحابه رضي الله عنهم ، ووصلنا صحيحاً ، وقد تركنا على المحجة

البيضاء لايزيغ عنها إلا هالك . ولاشيء يعلوا مطلقاً فوق دين الله سبحانه وتعالى، فوسيلة التقريب هي الإسلام ،والغاية والهدف من التقريب هو الإسلام . قال ﷺ : "**تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**" (١) .

والأمر مع صعوبته هذه ليس مستحيلاً، بل سيتحقق بإذن الله تعالى، والإسلام قد دلنا على الطريق للخروج من هذه الفتنة ، وغيرها. قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** (٥٩) ﴾ [النساء : ٥٩] .

فيجب ألا يدفعنا خوفنا ، أو حرصنا أو الظروف التي يمر بها المسلمون إلى التخلي عما أمرنا الله سبحانه وتعالى به ، وعلى الجميع سُنَّة وشيعة ، وغيرهم أن يفتحوا عقولهم ، وتتسع صدورهم ليستوعبوا الحقيقة ، وأينما وجد الحق فيجب أن يتبعه الجميع دونما تشنج ودونما تعصب إذا كنا نقصد رحمة الله تعالى وإعلاء كلمته ونشر دعوته ؛ فالله سبحانه وتعالى سيحاسبنا على ما أنزل إلينا من الحق لا على ما ألفناه ، أو ألفينا عليه آباءنا ، وهي دعوة خالصة أقصد بها رحمة الله وغفرانه ، ولن يبقى ويستمر إلا الإسلام كما نزل على الرسول ﷺ دونما أية مزايدات .

وأعتقد أننا وعينا لماذا هذا الموضوع الآن ؟ .

وأيضا وعينا أننا لا نستطيع أن نغلق هذا الباب فهو بداية لانطلاق الإسلام واستعادته لمكانته الصحيحة لقيادة البشرية ؛ لاكتمال تحقيق العالمية ، وقيادة

---

(١) هذا جزء من حديث رواه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب اتباع الخلفاء الراشدين: ١ / ١٦، وأحمد في مسنده: ٤ / ١٢٦، والحاكم في مستدركه : ١ / ٩٦ ، وابن أبي عاصم في كتاب السُّنَّة باب ذكر قول النبي ﷺ : "تركتكم على مثل البيضاء"، وروى عدة روايات في هذا المعنى صحح الالباني معظمها .

البشرية إلى بر الأمان ، وأن يكون رحمة للعالمين كما أراد الله سبحانه وتعالى ، ولا راد لمشيئته إنه على كل شيء قدير،إن الله بالغ أمره قد جعل لكل شيء قدرا.

وهذه محاولة قدر المستطاع لتصحيح دين الأمة الإسلامية ، فما كان من الصواب فمن الله ، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان ، والله أعلم،وأساله العفو والمغفرة .

obeikandl.com